النهضة الاميركية

«معربة عن الفرنسوية»

انتشر مذهب مونرو وفوي في نفوس الاميركيين الادلال باميركيتهم فتوسعت احوال الولايات المتحدة وزادت بسطة في الجاه والثروة . وحذا خلفاء مونرو حذوه في التمسك ببدإ الاكثار من الضرائب على الواردات مع ميل بعضهم الى حب التوسع وتوفير الصلات مع البلاد الاجنبية وخفف جاكسون احد رؤسائهم مكوس الجمارك فنقص الدين العام وكان بلغ ١٢٧ مليون دولار بتخفيف الضرائب ووفي كله . ثم جاء بعد هذا من الرؤساء من حافظوا حق المحافظة على مبدإ مونرو ورفعوا سدود الجمارك من وجوه السلع الاجنبية وانذروا العالم ان من مبدئهم السياسي القويم في المستقبل الضرب على يد كل دولة اوروبيه تطمح الى ان تنشئ لها مستعمرة او تستحل لها ارضاً في اميركا الشمالية وان الولايات المتحدة هي الحاكمة المتحكمة التي لا تسأل عما تفعل في تلك الاصقاع وسعوا السعي الحثيث حتى ضموا الى بلادهم يوكاتان واريغون وجزيرة سان دومينيك . وصرح كرانت احد رؤساء الجمهورية ان الوقت ربما لا يطول وان مجرى الحوادث الطبيعية والصلات السياسية الاوربية مع اميركا قد انقضت ايامها وان الولايات المتحدة تعمل يداً واحدة مع الممالك الاسبانية الاميركية على احراز خصل السبق والذهاب بفضل العمل على الاوربيين للاستئثار ببدإ سنه مونرو وادامس وكلاري . وبعد خمس وعشرين سنة قام الرئيس كليفلند وصرح للانكليز بان لجنة اميركية عهد اليها النظر في مسألة فنزويلا فاذا عبثت بريطانيا بما تقرره تلك اللجنة يكون في ذلك الحرب ويعني بذلك ان الولايات المتحدة اشتد ساعدها بحيث صارت في غنية عن الاستمداد من غيرها وانها حامية اميركا الشمالية والجنوبية معاً وكان لهذا النبإ في العالم القديم (اوربا) دوي كدوي الرعد تحت سماء من الرصاص وظهر مبدأ مونرو هذه المرة سيفاً لامعاً في ظلمات الماضي وبه نهضت نهضة الشعب البصير

وبعد فان المراد من النهضة الاميركية مذهب الاميركان الداعي الى التفاف اميركا برمتها حول الولايات المتحدة سياسياً واقتصادياً وذلك حرصاً على مصلحة عالية اخذ مصدرها الاساسي عن مبدإ مونرو . ذاك المبدأ الذي سنه هذا الرئيس وجرى عليه العمل في ازمان رؤساء كثيرين وفيه بقاء الولايات المتحدة وضمان توسعها وتبسطها في مناحي السلطة والثروة

والبقاء وليس غير هذا المبدإ دافعاً عن مصلحة البلاد غارة الاوربيين لاسيما وهم يأتونها زرافات ووحداناً

ولم يكن الرؤساء بولك وكرانت وكيفلند واولنيه الاَّ مريدين لمونرو وعاملين على نشر مبدإه الاقتصادي . وقد ابان احد علماء تلك البلاد بان مبدأ مونرو لم يعمل به هو ولا اشياعه من بعده وان اميركا لم تنهض حق نهضتها وذكر اثباتاً لرأيه امثلة طفيفة من تداخل الاوربيين في شؤون اميركا بالفعل دون ان تقيم الولايات المتحدة الحجة على ذلك . فحصار انكلترا سنة ١٨٤٢ لسان جان دي نيكاراغا ولرافيء السان سلفادور سنة ١٨٥١ وقبض السفن البرازيلية سنة ١٨٦٢ انتقاماً من التعدي الذي وقع على البرنس اوف فالس كلها من الامثلة في هذا الباب . قال هذا الناقد ان مبدأ مونرو لم يسن لمعاضدة حقوق الممالك الاميركية ومصالحها بل للاحتفاظ بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها فقط

ثم ان مبدأ التكافل الاميركي من ادنى اقليم الالاسكا في الشمال من اميركا الى اقصى ارض النار من اميركا الجنوبية هو من الاوهام التي يصعب تحقيقها وقد حلمت زمناً بهذا التكافل جمهوريات الجنوب الصغرى الى ان ظهرت الولايات المتحدة في مؤتمر باناما سنة ١٨٢٦ بمظهر الاثرة وحب الذات . فان كان مبدأ مونرو هو الصلة الاساسية التي تضم شتات الاميركيين بعضهم الى بعض فان اوربا لا تعد من الاميركان غير اهل الشمال اي سكان الولايات المتحدة . وما عداهم من سكان الجنوب فحجة يتوكأون عليها وذريعة يتذرعون باهداب الدفاع عنهم في الاحايين وما معنى النهضة الاميركية الاَّ انضواء الامم الاميركية الضعيفة تحت علم الأمة القديمة ملتفة حول لواء المسكنة ملتحفة ثوب الصغار والذل

وما زال الحق بجانب القوة اي ان الاميركيين يهددون بسيف قوتهم كل أمة اوربية تريد ان تستبيح حماهم فيدافعون بذلك عن حقيقتهم ومصلحتهم . فقد قيل ان الاميركي تحيط به تمائم ثلاث « التوراة والدستور ومذهب مونرو » هذه هي عدته الاجتماعية وسلاحه الذي يستعمله في جهاد هذه الدار . ولئن أُسيء استعمالها فليس من داع للام الاميركان اذ يقضي على كل أمة ان تقضي اربها وتنال حظها ويحق لكل أمة هددت مصالحها بصالح امة متغلبة ان تقاوم جهد قوتها وتدافع عن بيضتها وان تثير غارة شعواء على من يتربص بها الدوائر فلا تسامح مع الانانية الوطنية الاَّ بقدر ما لا يضر هذا التسامح بالرغبات الخاصة المحترمة عند الشعوب الاخرى . نعم « كل يجر النار الى قرصه » و « كل امرىء في شأنه ساع » ولكن يقتضي على القوي القادر ان لا يروح مدفوعاً بعوامل حب منفعته قاتلاً الضعاف او

المستضعفين جهاراً او رياء : « اني اعمل لمصلحتي لا لمصلحتكم ولكنكم اعملوا لي كما لو كنت انا اعمل لكم »

بيد ان هذه الجمهورية الكبرى في اميركا الشمالية لم تسلك مسلكاً آخر امام جمهوريات الجنوب الصغرى فان الاولى عالمة علم يقين بان ليس بينها وبين جاراتها من تكافل المصالح الا ما يفيد الولايات المتحدة في مادياتها اي ان طريقة حماية التجارة تؤدي الى الافلاس والشقاء في البرازيل والارجنتين فان هاتين المملكتين خصيبتان ولكنهما ضعيفتان من حيث الارتقاء الصناعي ولذلك اضطرتا بحكم الحاجة الى ان تفتحا اسواقهما للواردات الشمالية بدلاً من ان تغلقاها . وهاتان المملكتان مضطرتان الى تحسين صلاتهما مع الكافة لان معنى اعتزالهما تحت برقع النهضة الاميركية وابتعادهما عن الاوربيين حتماً بان تكونا من حروف الزوائد مع سكان الشمال انهما كسلانتان جاهلتان تحافظتان على القديم مضادتان للاهواء المعادية للتمدن راغبتان في الفناء الطبيعي الذي يلحق الاجناس ويدب فيها سوس الفساد الادبي

هذا ولم تتمالك احدى المجلات الاميركية الشهيرة من التصريح بان الولايات المتحدة تلجأ الى القوة اذا جرى في الجنوب ما يخالف هواها . ولذا لم يستغرب اجتياح انكلترا سنة ١٨٩٥ في مسألة فنزويلا وكيف طرد الاسبانيول من جزيرة كوبا سنة ١٨٩٨ وكيف فتحت بورتوريكو وكيف كادت تباع جزائر الارخبيل الدانيركية وكيف يطوف الاسطول الاميركي ابداً تحافظاً او قاهراً البحر المتوسط الاميركي حيث تمتد اصقاع سان دومينيك او فنزويلا او باناما وكيف يتبجحون عند اقل فرصة ولو في حدوث مسألة خاصة ان مبدأ مونرو يأمرهم بان يحموا جمهوريات برازيل او الارجنتين او بيرو او شيلي اي ان يقوموا بشؤون تلك البلاد قيام الوصي والمعلم

واذ كانت النهضة الاميركية الاقتصادية مرتبطة بالنهضة السياسية ولا تحقق النهضة الاقتصادية لما هنالك من اختلاف المصالح التجارية بين سكان الشمال والجنوب وبعبارة ثانية بين اميركا البرتستانتية الساكسونية واميركا اللاتينية الاسبانيولية رأت الجمهوريات الصغرى ان تحتفظ بحقوقها فقاومت ما تدعو اليه الولايات المتحدة من النهضة الاقتصادية خشية ان يلحق سلامتها نقصان . فعقدت مؤتمرات حضرها مندوبو الحكومات الاوربية ومن جملة ما عقد من المعاهدات معاهدة بين اميركا الشمالية والمكسيك سنة ١٨٨٣ تدخل بموجبها سلع الشمال الى بلاد المكسيك حرة بلا جمرك كما ان الشمال يقبل حاصلات المكسيك الطبيعية

كذلك. ومع هذا لم يظفر سكان الشمال بطلبتهم فقد باع سكان الولايات المتحدة سنة ١٨٩٤ لسكان الجنوب بضائع بمبلغ ١٣٥ مليون دولار وابتاعوا منهم غلات بمائتين وستة وار بعين مليوناً

قال الكاتب وكل ما قامت به اميركا الشمالية من الاعمال من حرب وضم ارض وفتح بلاد من ارض الجنوب ان هو الا تفادي من ان ينال مذهب مونرو بعض ضعف وما هذه الاعمال الا دالة اصرح دلالة على ما تحوي ضلوعها من فكر الاعتداء والفتح المنطوي تحت اسم نهضة اميركا

لا يعدم الحق انصاراً وان من الاتحاد قوة. فقد قام بوليفار من رجال السياسة وابطال الحرية الملقب بواشنطون اميركا الجنوبية فحرر كولمبيا وفنزويلا وبيرو وخط الاستواء وبوليفيا ثم اراد ان يجمع هذه الامم الحرة كلها في ظل العلم الدستوري ويجعلها مملكة قائمة برأسها ففشل في دعوته ثم عاد فدعاهم باسم المحافظة على مبدإ مونرو فاجابت بعض البلاد الجنوبية دعوته. وتلكأت الولايات المتحدة كثيراً كأنها قالت بلسان الحال ان هذا المبدأ سن لحماية مصالح الشمال لا لمصالح الجنوب واشارت الى مندوبيها بان لا يصغيا الى ما يقرر الا باذن صماء فعرفت جمهوريات الجنوب الصغرى ان جمهورية الشمال الكبرى ليست اختهن. ذلك لان بوليفار لم يتصف كواشنطون بارادة ثابتة منظمة بل كان من شدة الحمية بحيث يستبين بروحه ويبريق دمه حباً بمصلحة العالم ويرى الامم كلها اخوة والناس اخواً سواء ولذلك لم يحسن ادارة ما افتتحه من البلاد وغنمه من الطارف والتلاد

وظلت الولايات المتحدة سائرة تلتهم كل ما تصادفه في طريقها من المغانم والفرائس ومنها ضم جمهورية التكساس اليها وهي ضعف مساحة فرنسا. ثم لم يخل من الخاطر اذ ان الولايات المتحدة تحظر الرقيق ولا تقبل هذه الجمهورية بنعه. وبعد جدال طويل الاذيال مع المكسيك بل بعد الاخذ بالتلابيب واشهار المكسيك الحرب على اميركا ضمت التكساس الى هذه وصارت الولايات المتحدة صاحبة القول الفصل في الشمال بالقوة ومن ذلك تداخلها في جزيرة سان دومينيك وقد انقسمت قسمين مستقلين وثارت بينهما ثائرات العداء ولكنها تلطفت في هذا التداخل. وكانت تود الحاقهما ببلادها لو لم تكن خارجة منهوكة من حرب الرقيق. ولا يزال لسان الثورات يندلع في تلك الجزيرة وكثيراً ما هددت اميركا من اجلها ولعلها تلتهمها بعد لانها واقعة بين جزيرتي كوبا وبورتوريكو اللتين بسط النسر الاميركي مخالبه عليهما. ومرفأ هذه الجزيرة « سان توماس » هو بمثابة جبل طارق لاميركا. وقد اوضحت الولايات المتحدة حكومة الدانيمرك عام ١٩٠٢ في ان تبيعها جزائرها في الارخبيل « الانتيل »

يبلغ خمسة ملايين دولار وهي ثلاث جزائر مساحتها السطحية ٣١٠ كيلو مترات مربعة وسكانها ٣٢٧٨٦ . فاكتشفت في خلال هذه المدة حيالة نصبها احد اعضاء مجلس البلاد الدانيركية وتبين انهُ ارتشى لتحقيق رغبات الاميركان . فتأخر النظر في امر الجزائر الآن ريثما تجيء الفرصة المناسبة (والاميركان كالانكليز لا يضيعون الفرص ولا يخترعونها) ولئن لم تسقط هذه الاجاصة في ارض الاميركان فذلك لانها الآن آخذة بالنضج وما نضجها على الصابرين ببعيد

انحطاط المشرق بانحطاط الاخلاق

بسطنا الكلام في فصل سابق عن انحطاط المشرق وابنا ثمة ان سببهُ انحطاط الاخلاق وعراقة الشرقيين في الحضارة وبلوغهم منها غاية قضت بتمكن الضعف منهم منذ زمان مديد ووعدنا بالعود الى هذا البحث واتمام الكلام عليه ووفاء بالوعد نقول :

اشرنا في ذلك الفصل الى ان الاخلاق السافلة التي تفضي بانحطاط الأمم وضعفها كثيرة وان ما نراهُ منها مظنة انحطاط المشرق واهله لا ينحصر بالملاذ البدنية بل هو اعم من ذلك وان عامة الاخلاق الفاضلة في المشرق قد تطرق اليها الضعف فاضعف قوى الشرقيين وتفوسهم عن النهوض مع الناهضين والتسابق مع السابقين من أمم المغرب والخطر من هذا على المشرق عظيم يتهدد اهلهُ بناموس الانتخاب الطبيعي القاضي ببقاء الانسب . وحسبك دليلاً على ذلك هذا السكون المطلق الذي يخيم بسجبه المظلمة على آفاق المشرق بينما المغرب في حركة مستمرة يخترق صداها حجب الفضاء وتهتز لها جوانب الغبراء . فلو هبط الآن على الارض هابط من عالم النجوم لخيل لهُ ان المشرق واهلهُ عالم آخر لا اتصال لهُ بالمغرب لما بينهما من التباين الذي يكاد يكون مستحيلاً في نظر العقل في عصر وصلت فيه الكهربائية والبخار بين جوانب الارض واصبح فيه العلم مشاعاً بين الأمم لا يقصر عنهُ نظر المتطاول ولا يد المتناول . وما هذا التباين الاَّ اثر من آثار الاخلاق في رقيها وتدليها والانسان انما دعي انساناً مميزاً بنفسهِ لا بجثمانه فالتفوق في التي تعلو بهذا الانسان الضعيف حتى تبلغ به عنان السماء وتهبط به الى الحضيض حتى يلتصق خدهُ باديم الارض

فكل ما سيء في المشرق من وهن في العزائم . وفتور في الهمم . واخلاد الى السكون . وعجز عن النهوض . وتخاذل يفرق المجتمعات . ويأكل القوميات . ونفور من العمل . واسترسال في الجهل والخمول . ورضا بالضيم واستسلام للفاتحين والمستعبدين من الغربيين